

وَعِي وَثَبَاتٌ

٢٠٢٦

١٣ تموز

ثَبَاتُ الْأَنْبِيَاءِ (عليه السلام) أَمَامَ الْعَدُوِّ فِيهِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

الشيخ د. لبنان حسين الزين



مركز بَرَاءَاتِ الدِّرَاسَاتِ وَالْبَحْثِ
بِירוْت - بَغْدَاد

ثَبَاتُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَامَ الْعَدُوِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
الشيخ د. لبنان حسين الزين

■ الآراء المطروحة لا تعبر عن رأي المركز بالضرورة ■

© جميع الحقوق محفوظة للمركز

ثَبَاتُ الْأَنْبِيَاءِ (عليهم السلام) أَمَامَ الْعَدُوِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

◀ الشيخ د. لبنان حسين الزين

مدرّس متفرّغ ورئيس لجنة القرآن
والحديث في جامعة المصطفى (عليه السلام) العالمية
في بيروت، باحث وكاتب في الدراسات
الإسلامية والقرآنية، من لبنان.

حكى القرآن الكريم قصص بعض الأنبياء (عليهم السلام) وسيرتهم الدعوية؛ بما
تحمله من قيم ومواقف، نحتاج اليوم أن نستلهم منها الدروس والعبر
والمعنويات والثبات، ولا سيّما في مواجهة الأنبياء (عليهم السلام) لأهل الباطل
المستكبرين: ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ
وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠]،
فتكاثر الأدلة أثبت للقلب، وأرسخ في النفس، وأقوى للعلم. فبذكر

قصص الأنبياء ﷺ في ثباتهم أمام الأعداء يسكن الفؤاد، ويطمئن، ويزداد يقينه، فلا يضيق الصدر في ساحة المعركة والمواجهة. ولقد قصّ علينا القرآن الكريم بعض نماذج ثبات الأنبياء ﷺ، ومن تلك النماذج:

١. ثبات النبي نوح ﷺ:

لبث النبي نوح ﷺ في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، داعيًا إلى الله تعالى فيهم، وثابتًا وراسخًا في دعوته، على الرغم من الأذى والظلم والاضطهاد الذي تعرّض له هو ومن آمن معه، وما آمن معه إلا قليل! ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤].

٢. ثبات النبي إبراهيم ﷺ:

دعا النبي إبراهيم ﷺ قومه إلى عبادة الله وترك الشرك وعبادة الأصنام والأوثان والكواكب و... فكذبوه وأذوه، حتى إنهم جمعوا الحطب، وأشعلوا نارًا عظيمة؛ وألقوه فيها ليحرقوه، ولكنه ثبت، وتوكل على الله،

فحفظه من النار: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ*
قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٨-٦٩].

وفي تفسير فرات الكوفي: عن الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾، قال: «إِنَّ أَوَّلَ منجنيق عُمِلَ في الدنيا منجنيق عُمِلَ لإبراهيم بسور الكوفة في نهر يقال له كوني! وفي قرية يقال لها: قنطانا! فلمّا عمل إبليس المنجنيق وأجلس فيه إبراهيم (عليه السلام)، وأرادوا أن يرموا به في نارها، أتاه جبرئيل (عليه السلام)، فقال: السلام عليك يا إبراهيم ورحمة الله وبركاته ألك حاجة؟ قال: ما لي إليك حاجة، بعدها قال الله تعالى: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾»^(١).

في هذه الرواية تعليم إلهيّ توحيدٍ لطيف؛ وهو أنّ المدد الغيبي عبر الملائكة أو غيرهم، هو واسطة من وسائط نصرته تعالى للمؤمنين، فلا بدّ للمؤمنين في ساحة المعركة وعند اشتداد العسر التوجّه إليه تعالى لنصرتهم، وعدم التوجّه إلى الوسائط مع الغفلة عن الله تعالى، حتى لو

١ - تفسير فرات الكوفي، ص ٢٦٣-٢٦٤.

كانت غَيْبِيَّة! كما عدم التوجّه إليه تعالى بتحديد طبيعة المدد الغيبي!
بل التوجّه إلى عزّ الربوبية بطلب الثبات والصبر على العسر والنصر:
﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾
[البقرة: ٢٥٠].

٣. ثبات النبي موسى عليه السلام:

واجه النبي موسى عليه السلام في دعوته ثلاثي الكفر والجحود؛ وهم:
(فرعون) ممثلاً لتسلّط الحكم وبطشه، و(هامان) لخداع السياسة
وتحكّمها برقاب الناس، و(قارون) لاحتكار المال والاقتصاد، فكذبوه
وكالوا له صنوف التهم الباطلة والزائفة ليصدّوا الناس عن دعوته، ولمّا
يأسوا من ذلك همّوا بقتله ومن آمن معه، فواجهوه بالتهديد، لكنّه ثبت
على الحقّ، وواجههم مع أخيه هارون عليه السلام في عقر دارهم، وتحداهم
بقدرته على الإتيان بالبيّنات، ومع ذلك لم يؤمنوا له وكذبوا بدعوته.
وبعد أن عزموا على قتله ومن آمن معه، أنجاه الله تعالى منهم، وأظهر
الحقّ ونصر أهله، وأدحض الباطل وخذل أهله، وردّ كيدهم وعذبهم
في الدنيا والآخرة: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَى

فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ * وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ * وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ (...)* (...)* فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكْرُوا وَحَاقَ بِاللِّ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿[غافر: ٢٣-٢٨].

٤. ثبات الرسول الأكرم ﷺ:

بعد أن ظهرت الدعوة الإسلامية إلى العلن بدأ كفار قريش ومشركوها بالتضييق على النبي محمد ﷺ ومن آمن معه، خاصة كبارهم الذين سخروا من النبي ﷺ واستهزؤا به، وكفروا بدعوته، وحاربوه، لكنه ثبت على دعوته، وصبر على أذاهم محتسباً في جنب الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنْ

السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿[الحجر: ٩٧-٩٩]،
 وواجههم بحكمة وبصيرة نافذتين؛ سالكاً منهج الدعوة إلى الله تعالى
 بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالأحسن: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ
 بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
 أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]، ولم
 يكن ليهادن أحداً أو يساومه في دعوته إلى الحق: ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ
 * وَذُوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٨-٩]، وخاض ضدهم مواجهات
 عسكرية وأمنية عدة ثبت فيها وانتصر على عدوه، على الرغم من عدم
 التكافؤ في العدد والعتاد مع العدو، أولها واقعة بدر في العام الثاني
 للهجرة [آل عمران: ١٢١-١٢٦]، ثم واقعة أُحُد في العام الثالث للهجرة
 [آل عمران: ١٣٩-١٤٤]، ثم واقعة الأحزاب في العام الخامس للهجرة
 [الأحزاب: ٩-٢٥]، ثم فتح مكة في العام الثامن للهجرة [الفتح: ١-٣]،
 إلى غزوة ذات السلاسل على أهل وادي اليابس على الحدود الشمالية
 للجزيرة العربية في العام الثامن للهجرة: [العاديات: ١-٥]، وغزوة حنين
 في العام الثامن للهجرة [التوبة: ٢٥-٢٦].

وكذلك في مواجهات النبي ﷺ مع اليهود ناكثي العهود والمتآمرين

■

على الإسلام مع كفّار قريش والمنافقين في المدينة، فخاض صلى الله عليه وسلم ضدّهم
مواجهات عسكريّة وأمنيّة عدّة، أوّلها مع بني قينقاع في العام الثاني
للهجرة [الحشر: ١٥]، ثمّ مع بني النضير في العام الثالث للهجرة
[الحشر: ٢-٣]، ثمّ مع بني قريظة في العام الخامس للهجرة [الأحزاب:
٢٦-٢٧]، ثمّ يهود خيبر في العام السابع للهجرة [الفتح: ١٥].
وكذلك مواجهته صلى الله عليه وسلم لإمبراطوريّة الروم على التخوم الشماليّة للدولة
الإسلاميّة؛ فخاض معهم مواجهات عسكريّة وأمنيّة؛ منها: غزوة تبوك
في العام التاسع للهجرة [التوبة: ٤١-٤٢].
وفي هذه المواجهات ثبت النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون أمام أعدائهم،
وانتصروا عليهم، واستتبّ الأمر لهم، ورجعوا إلى ديارهم مكّة المكرّمة،
وطهّروا الجزيرة العربيّة من الكفر والشرك.

